الفصل الأول

أهمية الدعاء

إن الدعاء أفضل العبادات، قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [غافر: ٦٠].

وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠] قَالَ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَقَرَأَ: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠] (١).

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث في سننه١/٤٦٦/١٤٧٩ ط: دار الفكر، والترمذي محمد بن عيسى في سننه الجامع المختصر ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ٥/٥٣٠/ (٣٢٤٧) بلفظه وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ذلك لأن الدعاء يظهر عبودية العبد لربه وحاجته إليه ومسكنته بين يديه، فمن رغب عن دعائه، فكأنه رغب عن عبادته سبحانه وتعالى، فلا جرم جاءت الأحاديث متضافرة في الأمر به والحض عليه.

ولقد أثنى الله تعالى على أنبيائه به، فقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

وجعله ﷺ من سنَّة الأنبياء والمرسلين، ودأب الأولياء والصالحين، ووظيفة المؤمنين المتواضعين، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى

رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ} [الإسراء: ٥٧].

وجعله ﷻ من شؤون الملائكة الكرام، قال تعالى:

{وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الشورى: ٥].

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ

مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾}

[غافر: ٧ - ٩].

وسماه الله تعالى دينا فقال سبحانه:{فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [غافر: ٦٥].

وأمر ﷻ به وحثَّ عليه، قال تعالى:{وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ} [النساء: ٣٢].

وقال ﷻ:{فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾} [غافر: ١٤].

وقال ﷻ:{ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾} [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

وأهل الجنَّة به علَّلوا نجاتهم من عذاب النار فقالوا:

{فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ} [الطور: ٢٧ - ٢٨].

ومن هنا فكل خير يحصل للعبد فأصله التوفيق، والتوفيق بيد الله لا بيد العبد، ومفتاحه الدعاء والافتقار، وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فإذا منح الله عبده ذلك المفتاح فقد أراد أن يفتح له، وإذا أغفله عنه فقد أُغلق باب الخير دونه، فالله تعالى قريب من عبده ، وعليه

أن يداوم طرق بابه علّه يفتح له، قال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦].

لذا قال عمر بن الخطاب ﷺ: **(إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه)** [1]، **وهذا كلام نفيس فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله تعالى قال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)**

(١) الفوائد ص٩٧، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ط: دار الكتب العلمية - بيروت الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣، اقتضاء الصراط المستقيم ١٩٩/٢ لابن تيمية ط: دار عالم الكتب السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

وعن ابن عيينة قال: لا تتركوا الدعاء ولا يمنعكم منه مانع ما تعلمون من أنفسكم فقد استجاب الله لإبليس وهو شر الخلق حين قال:

{ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾} [الأعراف: ١٤ - ١٥] (١).

* * *

(١) (الأعراف١٤،١٥، شعب الإيمان (٥٣/٢)